التحويل و التحويل المضاد

بودودة نجم الدين
قسم علم النفس
جامعة 8 ماي 1945

مقدمة

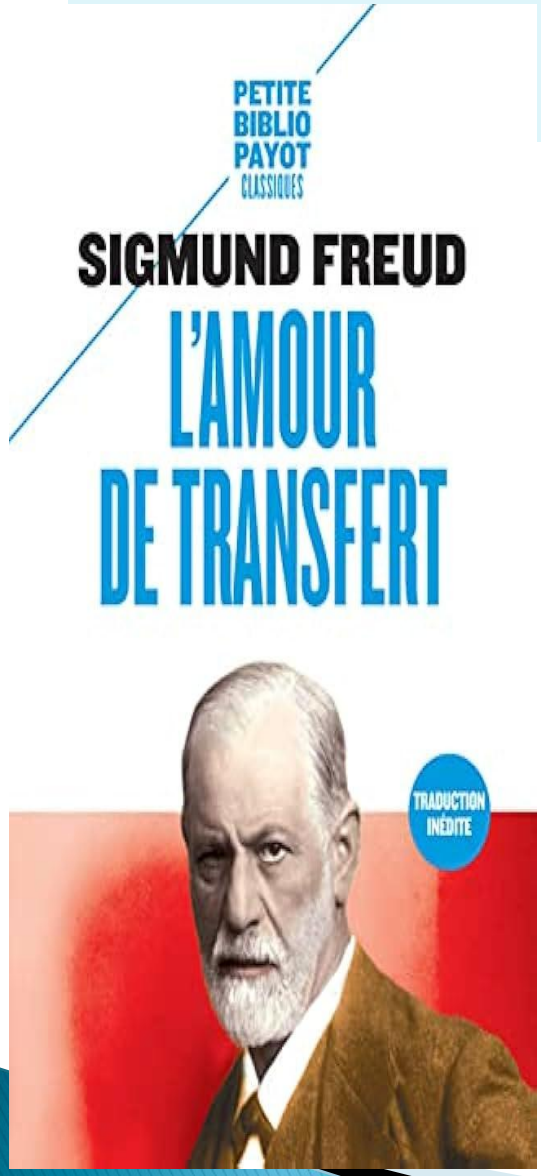

- يعتبر كل من القول و الاصغاء أساس العمل التحليلي في عملية بناء وجدانية خاصة ترتكز حول العلاقة الخاصة بين طرفين لا يعرفان بعضهما البعض.
- يتم إنشاء القول و الاصغاء من خلال تلك العلاقة الفريدة والمنفردة التي تمر عبر عدة مراحل تنتقل من التناقض والخوف من المجهول إلى بناء علاقة خاصة و مهمة ترتبط بالثقة في السند.
- هذه العلاقة الخاصة تذكر المعالج بنوعية الطلب الذي تقدم به طالب المساعدة، ومع ذلك، فقد تظهر على شكل مصطنع لما تثيره من مخاوف و تساؤلات يجندها الإطار العلاجي.

لمحة تاريخية عن التقنية

- ظهر مفهوم التحويل مع سيغموند فرويد الذي قدم فكرة أن مشاعر المريض اللاشعورية اتجاه شخصيات مهمة من ماضيه الخاص يمكن إسقاطها على المحلل النفسي، ما يخلق ديناميكية خاصة في العلاقة العلاجية.
- اكتشف فرويد لأول مرة ظاهرة التحويل في تجاربه السريرية الخاصة، حيث لاحظ أن المرضى طوروا مشاعر معقدة تجاهه، غالبًا ما تكون مماثلة للعلاقات التي كانت تربطهم مع آبائهم، فبدأ فرويد باستخدام تفاعلات التحويل كطريق للوصول إلى المواضيع اللاشعورية للمريض.

لمحة تاريخية عن التقنية

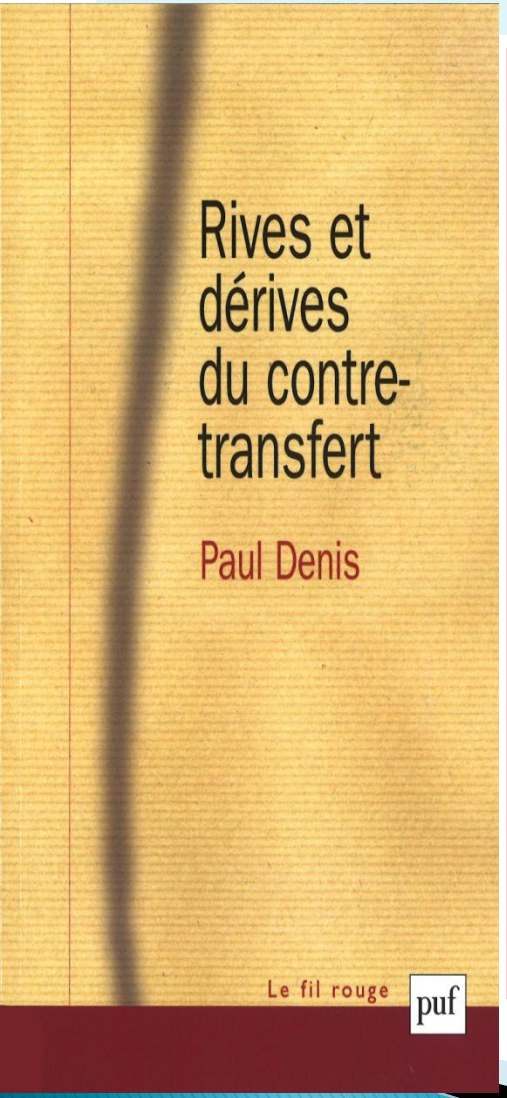

- ساهم أحد المقربين من فرويد، ساندور فيرينزي، في تطوير مفهوم التحويل المضاد، مشيرا إلى أن المحللين أنفسهم يمكن أن يواجهوا ردود أفعال عاطفية تجاه مرضاهم بناءً على تجاربهم اللاشعورية، مدركا بذلك أن ردود الفعل هذه مهمة في العملية العلاجية لأنها تساهم في فهم أوسع لمضمون اللاشعور.
- واصل المحللون النفسيون، مثل ميلاني كلاين، ودونالد وينيكوت، وجاك لاكان، استكشاف وتحسين مفاهيم التحويل والتحويل المضاد، مسلطين الضوء على مدى تعقيد ديناميكيات اللاشعور في العمل في العلاقة العلاجية.

المعالج و التحويل

- يعتبر المعالج التحليلي في اطار العملية العلاجية أداة دعم يرتكز عليها طالب المساعدة في سياق الكلام الذي يفسح المجال للاشعور لإسقاط المشاعر والعواطف التي عاشها المريض بالفعل، والتي قد تأخذ عبر الزمن مجرى الخمول و النكوص.
- فالمشاعر التي يمكن أن تخرج على السطح من خلال تلك العملية، تسمح لطالب المساعدة الذي يشارك في العملية العلاجية بالتعرف عليها وعيشها او ترميزها في اطار خاص يثيره الكلام.

التحالف العلاجي و العملية التحويلية

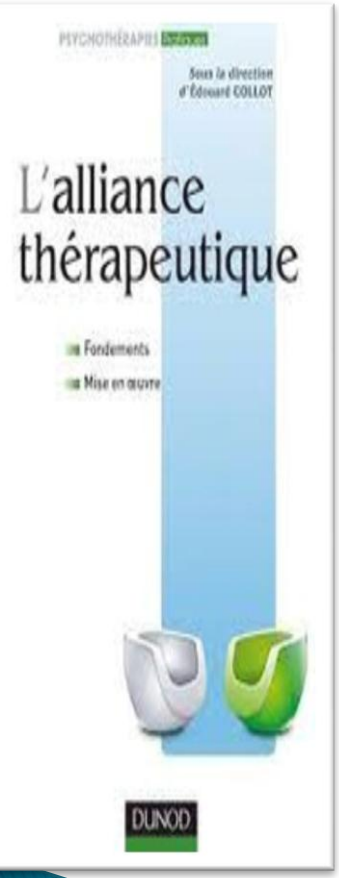

- لا يمكن أن يتحقق تحليل قول الآخر إلا من خلال خصوصية العلاقة الفردية.
- استخدام التحويل يتطلب أن يتمكن المريض من الشعور بالثقة مع المعالج و أن لا يكون في حالة تأهب أو خوف.
- المعالج يجب أن يستخدم التحويل بطريقة سليمة عبر عملية تفاعل إيجابية نشطة و حيوية تتلاءم و الطلب.
- الطريقة التي يستخدم فيها التحويل تحدد حسب الفضاء العلاجي النفسي و حسب خصوصية الوضع العلاجي.
- من من المهم الأخد بعين الاعتبار أن عملية التحويل لا تخص العمل التحليلي فقط كما تعرفه فكرة العودة الى الاطار الاصلي الكلاسيكي. بل انه يسمح بإعادة التعرف و فهم الفراغ النفسي عبر تكراره واسترجاع الموضوع الخاص الذي قد تكون له أثار وخيمة على الذاتية والحياة النفسية.

فرنزي و عملية التحويل

- يطلب العلاج التحليلي من المحلل :
- مضاعفة المهمة العلاجية التي تعتبر جادة و عميقة لما لها من اسس رمزية.
- يجب علي المعالج ملاحظة طالب المساعدة، فحص قوله، وبناء اللاشعور ابتدأ من كلماته وسلوكه.
- يجب علي المعالج أن يتحكم باستمرار في موقفه اتجاه طالب المساعدة، وتصحيحه إذا لزم الأمر، أي أن يتقن التحكم في التحويل المضاد.

التحكم في التحويل المضاد

- يتم وصف عملية "التحكم في التحويل المضاد" حسب فيرينزي وفقًا للمراحل التالية:
- المرحلة الأولى "في هذه المرحلة المعالج لا يتمكن من فهم و الأخذ بعين الاعتبار التحويل المضاد، ناهيك عن السيطرة عليه.
- لما تثيره تلك العملية من حزن و تفاعل صعب مع اوهام الاخر.
- يمكن أن تؤدي تلك العملية أيضًا إلى تأثيرات على المعالج النفسي الذي قد يتأثر بتجارب المريض الحزينة وأيضًا من خلال نزواته، فيجد نفسه في حالة نفور وعدم تقبل ما يحدث.
- هذا ما يجعله مضطرب في حياته اليومية في ظل هذه الظروف حسب فيرينزي يجب استبعاد إمكانية إجراء تحليل ناجح.

التحكم في التحويل المضاد

- تتكون المرحلة الثانية من "المقاومة ضد التحويل"
- وهو رد فعل عكسي للمرحلة الأولى، يقود أيضًا التحليل إلى الفشل.
- عندما يجد المحلل النفسي أنه من الصعب تقييم أعراض التحويل المضاد، مع استحالة السيطرة على أي شيء فهذا يمكن أن يؤدي إلى مضاعفات سلبية في سلوكه، أو كلماته، أو حتى مشاعره، ما يجعله يواجه خطر السقوط في رفض المريض.

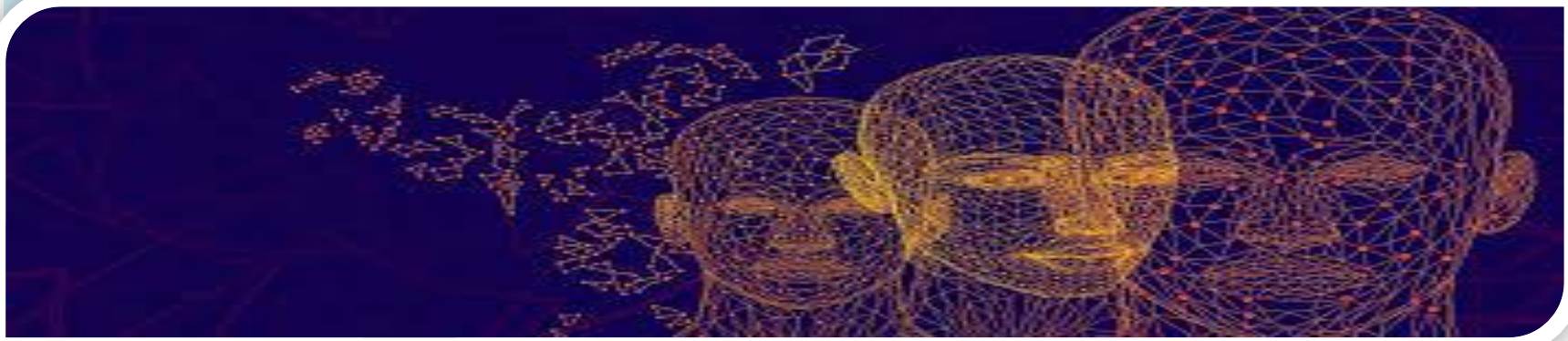

التحكم في التحويل المضاد

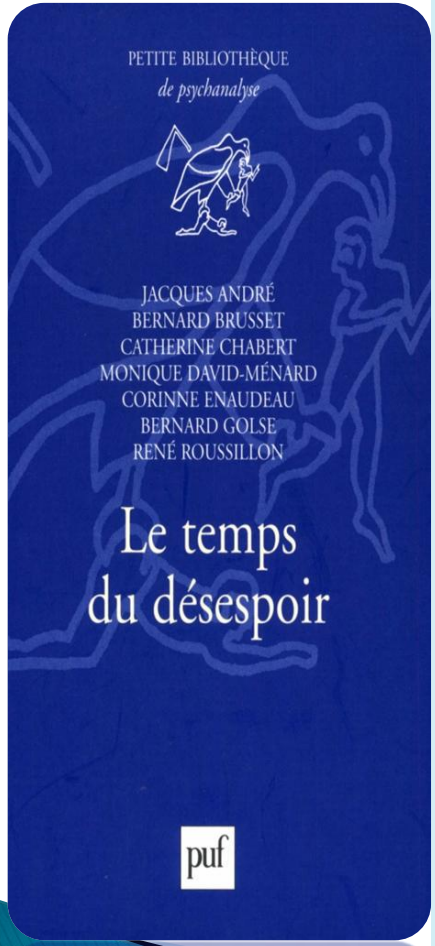

- المرحلة الثالثة وصفها فيرينزي بالتحكم في التحويل المضاد بالمعنى الدقيق للمصطلح.
- لا يمكن تحقيق التحويل المضاد حسبه إلا عندما يتم تجاوز المرحلتين السابقتين.
- عندئذ فقط يصل المحلل إلى حالة ذهنية كافية و مرنة تسمح له أن يفاجأ بالآخر" أثناء العلاج ، وهذا ما يتطلبه العلاج التحليلي.
- ما هو جديد حقا في هذه الصيغة هو أنه للمرة الأولى، لا ينظر إلى التحويل المضاد على أنه عيب أو خطر، بل بالأحرى كأداة أساسية وفعالة في العملية العلاجية لأنه يعمل على حماية كل من المعالج و طالب المساعدة.

التحويل و التحويل المضاد اليوم

- وفقًا لأندري جرين ورينيه روسيون، فإن آلية التحويل والتحويل المضاد هي عناصر أساسية في العلاقة العلاجية.

- يوفر كلاهما نافذة على العمليات اللاوشعورية للمريض والمعالج نفسه، مما يسهل الاستكشافً المعمق للديناميكيات النفسية.
- الفهم التفصيلي لهذه الآليات يمكن أن يؤدي إلى تدخلات أكثر دقة وإحراز تقدم كبير في العملية العلاجية.

- على الرغم من ذلك من الضروري إدراك أن التحويل والتحويل المضاد يمكن أن يكونا معقدين وفي بعض الأحيان متناقضين، ويتطلبان تفكيرًا وتوجيهًا مستمرا لضمان ممارسة سريرية فعالة وأخلاقية.